

نور من نور 2

تكلمت في الحلقـة الماضـية عن نور الدين زنكي الذي ربى صـلاح الدين وأخرجه بطلاً ينتصر على الصليبيين الحاقدة في حطين رمضان ثم في فتح بيت المقدس .

ماكان لنور الدين رحمه الله أن يحقق الإنجازات الخارجية في معركته مع النصـارى وأذيـالهم لو لم يكن من داخل نفسه قوياً ، فهيّا بنا عزيزي القارئ ننظر إلى سيرة هذا الإمام العادل لنستضيء بنور سيرته رحمه الله .

كان نور الـدين من العباد البكّائين وكان يقوم بالليل هو وزوجته عصـمت الدين خاتون ، ويروى أن زوجته نامت مرة عن قيام الليل وأصبحت حزينة ، فأمر نـور الـدين زنكي بإنشـاء مـا سُـمّي (طلبلخانــة) بالقلعـة وهـو مـا يعرف الآن بالمسـحراتي الآن ، لإقاظ الناس لقيام الليل وقت السـحر ، وكان رحمه الله قد فرض بعض المكوس (الضرائب) ليجعلها في أمور الجهاد وتحسين خزينة الدولة ثم لما علم بحرمتها والعقاب الشديـد المعـد للعشارين (جامعي الضـرائب) كان يبكي في صـلاته بالليـل ويـدعو قائلاً في سـجوده : (اللهم ارحم المكّاس العشّار الظالم محمود الكلب !!) (انظر البداية والنهاية 6\ 301) .

وكـان كثير التواضع رحمه الله فقـد اشـتكاه رجل لعله كان يمتحنه وكان على خيله يتدرب على الفروسـية فنزل إلى القاضي وقال كلمته المشهورة عنه : (نحـن معاشـر الحكـام أعلانـا وأدناننـا " شـجنكية " لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم ولشرعه) و " شجنكية " أي : خدم .!!

وكـان من تواضـعه رحمه الله وانكساره بين يـدي ربه ماحـدث منه عند حصار بلدة " حارم " انه سجد عند تل البلدة ومرّغ وجهه وتضرع لله قائلاً : (ياربِ هؤلاءـ عبيـدك وهم أوليـاؤك ، وهؤلاءـ عبيـدك وهم أعـداؤك فانصـر أولياءك على أعدائك إيش فضول محمو في الوسط !! اللهم انصـر دينك و لا تنصـر محموداً ,, من هو محمود الكلب حتى ينصر ؟!!) .

ولما أمر الخليفة العباسي بالدعاء لنور الدين بألقاب كثيرة طويلة ومدائح عظيمـة أرسل إلى الخطباء وأئمة المساجد أن يجعلوا مكانها (اللهم وأصـلح عبد الفقير محمـود بـن زنكي) وقـال لهم مقصـودي أن لاـ يكـذب على المنبـر ، فـأنا بخلاف كل ما يقال !! .

وعظه مرة أبو عثمان بن أبي محمد الواسطي والذي كان من أزهد الناس في الدنيا وكان لا يقبل العطايا ولا المنح لزهده فوعظه بشدة حول أخذ المكوس وأنشده قصيدة طويلة وصريحة مطلعها :

مثّل لنفسك أيها المغرور .. يوم القيامة والسماء تمور

إن قيل نور الدين رحت مسلّما .. فاحذر بأن تبقى ومالك نور

ولما فرغ من قصيـدته بكى نور الدين بكاء شديداً وأمر بإلغاء المكوس والضرائب في سائر البلاد .

قال له مرة بعض علمائه الذين كان يقربهم ويكرمهم قال له : ورآه مقتتلاً في طلب الشـهادة : لا تحرمنا نفسك أيها السـلطان فتقتل فتهزم الملّة ، فغضب منه نور الـدين وقال له : ما صـدقت !! من نور الـدين .. لقـد نصـر الله دينه وملته قبل نور الدين وبدونه وسينصرها بعده ونهاه عن مثل هذا المدح غير الصادق .

كان نور الدين رحمه الله مغرماً بالجهاد وكان مع ذلك فقيهاً ثاقب النظرة

مجـدداً في مفهوم الجهـاد فلم يكن يرى الجهاد مجردِ القتال بل يرى إقامـة العلم جهاداً ؛ ونشـر الـدعوة وإقامـة الحضارة والقوة جهاداً وكان من لفتاتهِ العجيبة أنه كـان له لعب خـاص بالكرة تشـبه لعبـة " البولو " اليوم فكان يركب الخيل ويجري بهـا بقوة ويضـرب الكرة إلى السـماء يجري إليها فيأخـذها قبل أن تنزل وهكـذا ، ولما رآه بعض الوعّاظ ضاقت نظرتهم عن مفهوم الجهاد عنـد نورا لدين نهاه عن ذلـك ورأى أن هـذا تضـييع وقت ولهو لاـ يليق بمثـل نور الـدين فقا له : (والله ما حملني على اللعب بـالكرة اللهو والبطر ، إنمـا نحن في ثغر والعـدو قريب منّا ولا يمكننا ملازمة الجهاد ليلاً ونهاراً شـتاءً وصـيفاً إذ لابد من الرحاة للجنة ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت حجاماً _ أي كسـلت _ لا قدرة لها على ادمان السـير في القلب فنحن نركبهـا ونروضـها بعـذا اللعب وتعتـاد سـرعة الإنعطاف والطاعة لراكبها في الحرب ، فهذا والله هو الذي بعثني على اللعب بالكرة) .

وكـان يحب الصـيد لنفس الفكرة والهـدف ، فـانظر رعاك الله عزيزي القارئ إلى الرياضـة الراقيـة ذات الهمـة العالية بل هذه في الحقيقة عبادة يؤجر عليها فاعلها إن كان فقيهاً نافذاً مثل نور الدين .

التعليقات

تعليقك على الموضوع

الاسم

البريد الالكتروني

العنوان

التعليق

شارك